

المحاضرة الأولى : ماهية الفلسفة

تعريف الفلسفة :

إن الباحث في تعاريف الفلسفة يجدها كثيرة ومتعددة ، وإدراجها جميعا يعد صعبا ، ويرجع السبب في ذلك إلى ثلاث عوامل رئيسية :

- 1- غياب موضوع محدد: فالفلسفة لا تدرس موضوع بعينه، فكل موضوع صالح يجلب اهتمامات الفلاسفة ما دام يتسم بطابع الإشكالية، لذا يقال إن الفلسفة تدرس كل شيء بما في ذلك نفسها .
- 2- غياب منهج محدد: لكل فيلسوف منهجه الخاص، يعتقد أنه موصله إلى اليقين .
- 3- ارتباط الفلسفة بالعصر: إن الفيلسوف مرتبط بقضايا زمانه وعصره وهي التي تملي عليه المواضيع و الإشكاليات، و سبل التفكير، و طبيعة المعارف التي سيستخدمها، و منه نستنتج أن الاختلاف في مفهوم الفلسفة راجع إلى الاختلاف في المواضيع والإشكاليات المطروحة، كذلك الاختلاف في طرق و أساليب التفكير بين الفلاسفة و المفكرين، كما أن كل فيلسوف يجعل من الإشكاليات التي يعيشها عصره محور دراسته وبحثه و تفكيره الفلسفي.

لعل أقل التعريفات للفلسفة تعقيدا ذلك التعريف الذي يمتد بأصل الكلمة إلى الإغريق، وهو مأخوذ من كلمة "فلسفة" نفسها، إذ أنها مركبة من كلمتين في اللغة الإغريقية القديمة "فيلو" ومعناها الحب، "صوفيا" ومعناها الحكمة إذ أنها حب الحكمة .

أما مفهوم الفلسفة عند أرسطو فيتناول أمرين - الأول: الفلسفة بمعناها العام و تطلق على العلم النظري، و هو الذي يتناول دراسة الطبيعية و الرياضيات و الإلهيات، و العلم العملي وهو الذي يهتم بالأخلاق و السياسة و الاقتصاد. الثاني: هو المعنى الخاص و هو البحث عن علل الموجودات الأولى أي-أسبابها- و ما نسميه اليوم بما بعد الطبيعة أو الميتافيزيقا. (محمد موسى، ص 17).

لكن أفلاطون فقد أعطى تفسيرا مختلفا ، يقول: " إن الفلسفة هي العلم بالحقائق المطلقة المستترة تحت ظواهر الأشياء، إنها علم العلم المعقول، لأن الذي يقتصر على العلم المحسوس لا يدرك إلا في ظل الحقيقة. "

أما الفارابي (950م) فيتفق مع أرسطو في تعريفه للفلسفة بأنها العلم بالموجودات بما هي موجودة أي العلم بجوهرها، و يرى أنه ليس هناك موجودات في العام دون أن يكون للفلسفة فيها مدخل .

وبالرغم من صعوبة تقديم تعريف للفلسفة يكون جامعا مانعا، إلا أننا نستطيع أن نؤكد أن الفلسفة صناعة مفهومية بكلمة أخرى، إن الفلسفة فن تشكيل المفهومات و اختراعها، و هذا ما يجعل الفلسفة في أزمة مستمرة، فمهمة الفيلسوف هي مواجهة المشكلات و تحليل القضايا و إخضاعها للدرس والتحليل وذلك لخلق وقائع معرفية جديدة، يقول هيغل " الفلسفة شأنها إدراك عصرها بالفكر، فإدراك و فهم ما هو قائم هو مهمة الفلسفة

ب- خصائص التفكير الفلسفي :

يتميز التفكير الفلسفي بعدة خصائص نذكر أهمها " :

1- الحيرة أو الدهشة (التعجب): الحيرة أو الدهشة حالة عقلية نفسية تصيب الإنسان، تدعو إلى التوقف عن إصدار الأحكام اتجاه خبرة يمر بها للمرة الأولى و من ثم فهي تعبر عن جهله المؤقت، فيندفع متأملا وباحثا عن طبيعة هذه الخبرة، و التفكير الفلسفي يتميز بأنه ينبثق من الحيرة و الدهشة التي تدفعه إلى الانشغال بالبحث عن الأسباب البعيدة للظواهر الكونية والحياة وللمعرفة وللوجود، و لهذا عدت هذه الخاصية هي أول أسس التفكير الفلسفي و أصوله على حد تعبير أفلاطون و أرسطو "، فالحيرة التي يواجهها الإنسان تعتبر الحافز للبحث و الاستفسار.

2- الشمولية: " تعني الشمولية أن التفكير الفلسفي يمتاز ب: الكلية و العمومية معا مقارنة بالفكر العلمي يمتاز بالتخصص، و يكتفي بالبحث في المواضيع الجزئية للظواهر والقضايا، فالفلسفة هي محاولة إدراك العالم في صورته الكلية، وهو ما يتطابق و تعريف أرسطو لها يقول: "هي البحث في الوجود بما هو موجود" و معنى هذا أن الفلسفة تتقيد بقسم واحد من الوجود كما تفعل العلوم، و إنما تدرس جميع الموجودات بغض النظر عن تعييناتها (حية، جامدة، أرواح، غيب) و عليه فإن الفلسفة تكون تطمح من وراء ذلك إلى محاولة فهم المبدأ الذي بدأ منه الوجود و كذا الغاية التي سينتهي إليها، "إذا الفلسفة تتميز بالتعددية و الشمولية، تدرس و تناقش جميع قضايا المجتمع العلمية و المعرفية .

-المنهج: " إن التفكير الفلسفي يمتاز بالمنهجية والبعد عن العفوية، حيث يتميز المنهج الفلسفي بمراحل و خطوات محددة يضعها الفيلسوف نفسه، والمناهج الفلسفية تختلف باختلاف الفلاسفة أو المذاهب الفلسفية...إلا

أنه تبقى تشترك في صفة واحدة ألا و هي أن كل تلك المناهج ذات طابع تأملي-عقلي و نقدي "، تختلف المناهج باختلاف الفلاسفة و طرق و أساليب البحث و التفكير.

- الشك: " يعد الشك صفة وخاصة فلسفية بامتياز، و هو ما يؤكد التاريخ الطويل للفلسفة حيث أن المواقف التي يخلص إليها أي فيلسوف هي بالتأكيد نتيجة للشك في مواقف معاكسة، ما يعني أن التفكير الفلسفي ينبذ فكرة التسليم العشوائي بالأفكار دون الارتباب فيها، و الشك الفلسفي لا بد أن يكون شكاً منهجياً غايته الوصول إلى الحقيقة و المعرفة اليقينية القائمة على الحجة و البرهان "، فالبحث إنما الشك بهدف الوصول والتفلسف ينطلق من الشك، وهذا الشك لا يكون الشك من أجل الشك فقط، و إلى المعرفة و اليقين .

موضوع الفلسفة

إن الفلسفة تدرس جميع الموضوعات التي تتسم بطابع الإشكالية، فهي لا تدرس موضوعاً معيناً أو مخصص بل تشمل جميع مواضيع الحياة، حيث " يتخذ الفلاسفة من المشكلات التي تمس مختلف نواحي الحياة موضوعاً لنشاطهم الفكري، فقدما اهتم هؤلاء بمحاولة فهم طبيعة الكون والأشياء، فمثال تصور اليوناني طاليس (621 - 550 ق.م) أن أصل الكون هو الماء مادامت الحياة تتوقف على هذا العنصر الحيوي، فحين اعتقد فيلسوف آخر وهو أميدوقليس (435-490 ق.م) أن كل الأشياء ترجع إلى العناصر الأربعة وهي: الماء والهواء، النار و التراب، و أن محرك هذه العناصر قوتان هما الحب و الكره .

إلى جانب الاهتمام بطبيعة الأشياء و الكون، اهتم كذلك الفلاسفة بمحاولة فهم طبيعة الإنسان، و قد و كان سقراط من السابقين لذلك من خلال مقولته الشهيرة "اعرف نفسك بنفسك"، مؤكداً أن الحقيقة ليست مجرد أمر فردي، مثلما تصور السفسطائيون الذين اعتبروا أن "الإنسان مقياس الأشياء كلها"، إذا رأى سقراط أن العقل عنصر مشترك بين جميع الناس و مقياس للحقيقة، ألا تتغير أحكامه و نتائجه بتغير الظروف، و لو أردنا أن نحصر المواضيع الفلسفية لوجدنا أن الفلاسفة يبحثون في أربعة مشكلات هي :

- مشكلة المعرفة : و تشمل الأبيستمولوجيا و نظرية المعرفة و المنطق وفلسفة العلوم و فلسفة اللغة .
- مشكلات الوجود : أو الواقع وتشمل الميتافيزيقا، الوجود و علم الكونيات .
- مشكلات القيم : وتشمل مبحث القيم وفلسفة الجمال وفلسفة الأخلاق و فلسفة الدين.

- مشكلات المجتمع : وتشمل الفلسفة الاجتماعية و الاقتصادية و الفلسفة السياسية.